

## مسافر يرثي نفسه

مالك بن الريب أحد المسافرين الذين استطاعوا أن يخلدوا ذكرهم على هذه الحياة الدنيا، وأن يسطروا مجدهم على صفحات التاريخ، وذلك حينما أتحف الدنيا بقصيدته الرائعة، ومرثيته الذائعة التي تطرب الإنسان، وتهز الوجدان، وقد لا نكون مبالغين إذا قلنا: إنها أعظم مرثية في الأدب العربي على الإطلاق، فتأمل هذه الرائعة لشاعر يرثي نفسه، ومسافر ييكي حياته وقد بكى وأبكى.

مالك بن الريب شاعر إسلامي كان مسافراً للجهاد في سبيل الله في صحبة سعيد بن عثمان بن عفان، وحينما سار بجنده في طريق فارس، وأناخ الركب في بعض المنازل، نزل مالك للقلولة، ولما هموا بالرحيل أراد أن يلبس خفه، فلسعته أفعى كانت قد اندست فيه، فلما أحس بالموت أنشأ يرثي نفسه فقال:

بَجَبِ الغَضَا، أُرْجِي القِلاصَ النَّوَاجِيَا  
وَلَيْتَ الغَضَا مَاشَى الرِّكَابَ لِيَالِيَا  
مَزَارًا، وَلَكِنَّ الغَضَا لَيْسَ دَانِيَا  
وَأَصْبَحْتُ فِي جَيْشِ ابْنِ عَقَّانِ غَازِيَا  
بِذِي الطَّبَسِيِّينَ، فَالْتَفْتُ وَرَائِيَا  
تَقَنَّعْتُ مِنْهَا - أَنْ أَلَامَ - رَدَائِيَا  
لَقَدْ كُنْتُ عَنْ بَابِي خُرَاسَانَ نَائِيَا  
بَنِي بَاعِلَى الرَّقْمَتَيْنِ، وَمَالِيَا

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أُبَيِّنَنَّ لَيْلَةً  
فَلَيْتَ الغَضَا لَمْ يَقْطَعْ الرِّكْبُ عَرْضَهُ  
لَقَدْ كَانَ فِي أَهْلِ الغَضَا، لَوْ دَنَا الغَضَا  
أَلَمْ تَرْنِي بَعْتُ الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى  
دَعَانِي الهَوَى مِنْ أَهْلِ وُدِّي وَصُحْبَتِي  
أَجَبْتُ الهَوَى لَمَّا دَعَانِي بِرَفْرَةٍ  
لَعَمْرِي لَيْتُنْ غَالَتْ خُرَاسَانَ هَامَتِي  
فَلله دَرِّي يَوْمَ أَتْرُكُ طَائِعَا

يُخَبِّرَنَ أَنِّي هَالِكٌ مِنْ وَرَائِيَا  
 عَلَيَّ شَفِيقٌ، نَاصِحٌ، قَدْ نَهَانِيَا  
 وَدَرُّ لَجَاجَاتِي، وَدَرُّ انْتِهَائِيَا  
 سِوَى السِّيفِ وَالرَّمْحِ الرَّدْنِيِّ بَاكِيَا  
 إِلَى الْمَاءِ، لَمْ يَتْرُكْ لَهُ الدَّهْرُ سَاقِيَا  
 عَزِيزٌ عَلَيْنَهُنَّ، الْعَشِيَّةُ، مَا بِيَا  
 وَحُلَّ بِهَا جِسْمِي، وَحَانَتْ وَفَاتِيَا  
 يَقِرُّ بَعِينِي أَنْ سَهَيْلٌ بَدَّ إِلَيَا  
 بِرَايِيَّةٍ، إِنِّي مُقِيمٌ لِيَالِيَا  
 وَلَا تُعْجَلَانِي قَدْ تَبَيَّنَ مَايَا  
 لِي الْقَبْرَ وَالْأَكْفَانَ، ثُمَّ ابْكِيَا لِيَا  
 وَرُدًّا عَلَى عَيْنِي فَضَلَّ رِدَائِيَا  
 مِنَ الْأَرْضِ ذَاتِ الْعَرْضِ أَنْ تَوْسَعَا لِيَا  
 فَقَدْ كُنْتُ، قَبْلَ الْيَوْمِ، صَعْبًا قِيَادِيَا  
 سَرِيعًا لَدَى الْهَيْجَا، إِلَى مَنْ دَعَانِيَا  
 ثَقِيلًا عَلَى الْأَعْدَاءِ، عَضْبًا لِسَانِيَا  
 وَطَوْرًا تَرَانِي، وَالْعِتَاقُ رَكَبِيَا  
 تُخَرِّقُ أَطْرَافَ الرَّمَّاحِ ثِيَابِيَا  
 بِهَا الْوَحْشَ وَالْبَيْضَ الْحَسَانَ الرَّوَانِيَا  
 تَهِيلُ عَلَيَّ الرِّيحُ فِيهَا السَّوَانِيَا

وَدَرُّ الطَّبَاءِ السَّانِحَاتِ عَشِيَّةً  
 وَدَرُّ كَبِيرِي اللَّذِينَ كِلَاهُمَا  
 وَدَرُّ الْهَوَى مِنْ حَيْثُ يَدْعُو صَحَابَهُ  
 تَذَكَّرْتُ مَنْ يَبْكِي عَلَيَّ، فَلَمْ أَجِدْ  
 وَأَشَقَّرَ خَنْدِيدٌ<sup>(١)</sup> يَجْرُ عِنَانَهُ  
 وَلَكِنْ بِأَطْرَافِ السَّمِينَةِ نِسْوَةٌ  
 وَلَمَّا تَرَاءتُ عِنْدَ مَرَوْ مَنِيَّي  
 أَقُولُ لِأَصْحَابِي ارْزَعُونِي لِأَنِّي  
 فَيَا صَاحِبِي رَحْلِي! دَنَا الْمَوْتُ، فَانْزِلَا  
 أَقِيمَا عَلَيَّ الْيَوْمَ، أَوْ بَعْضَ لَيْلَةٍ  
 وَقُومَا، إِذَا مَا اسْتَلَّ رُوحِي، فَهَيْتَا  
 وَخُطَّ بِأَطْرَافِ الْأَسْتَةِ مَضْجَعِي  
 وَلَا تَحْسُدَانِي، بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمَا  
 خُذَانِي، فَجُرَّانِي بِبُرْدِي إِلَيْكُمَا  
 فَقَدْ كُنْتُ عَطَافًا، إِذَا الْخَيْلُ أَدْبَرَتْ  
 وَقَدْ كُنْتُ صَبَّارًا عَلَى الْقِرْنِ فِي الْوَعَى  
 وَطَوْرًا تَرَانِي فِي ظِلَالٍ وَمَجْمَعٍ  
 وَطَوْرًا تَرَانِي فِي رَحَى مُسْتَدِيرَةٍ  
 وَقُومَا عَلَى بَثْرِ الشُّبَيْكِ، فَاسْمِعَا  
 بِأَنكُمَا خَلَفْتُمَانِي بِقَفْرَةٍ

(١) الخنديذ: الجواد الكريم الأصيل.

تَقَطَّعُ أَوْصَالِي، وَتَبْلَى عِظَامِيَا  
 وَلَنْ يَغْدَمَ الْمِيرَاثَ مِنِّي الْمَوَالِيَا  
 وَأَيْنَ مَكَانُ الْبُعْدِ إِلَّا مَكَانِيَا  
 إِذَا أَدْلَجُوا عَنِّي، وَخَلَفْتُ ثَاوِيَا  
 لِعِغْرِي، وَكَانَ الْمَالُ بِالْأَمْسِ مَالِيَا  
 رَحَى الْحَرْبِ، أَوْ أَضْحَتْ بِفَلَجٍ كَمَا هِيَا  
 لَهَا بَقْرًا حُمَّ الْعُيُونِ، سَوَاجِيَا  
 يَسْفَنُ<sup>(١)</sup> الْخُزَامَى نَوْرَهَا وَالْأَقَاحِيَا  
 تَعَالِيهَا تَعْلُو الْمُثُونِ الْقِيَاقِيَا  
 وَبُولَانَ، عَاجُوا الْمُنْقِيَاتِ<sup>(٢)</sup> الْمَهَارِيَا<sup>(٤)</sup>  
 كَمَا كُنْتُ لَوْ عَالُوا نَعِيكَ بَاكِيَا  
 عَلَى الرَّيْمِ<sup>(٥)</sup>، أَسْقَبَتِ الْعَمَامَ الْغَوَادِيَا  
 غُبَارًا كَلُونِ الْقِسْطَلَانِي<sup>(٦)</sup> هَابِيَا<sup>(٧)</sup>  
 قَرَارَتُهَا مِنِّي الْعِظَامَ الْبَوَالِيَا  
 بِنِي مَالِكٍ وَالرَّيْبِ أَنْ لَا تَلَاقِيَا

وَلَا تَنْسِيَا عَهْدِي - خَلِيلِي - إِبْنِي  
 فَلَنْ يَغْدَمَ الْوَلْدَانَ بَيْنَا يُجَنُّنِي  
 يَقُولُونَ: لَا تَبْعُدْ، وَهُمْ يَذْفُونُونِي  
 غَدَاةَ غَدٍ، يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى غَدٍ  
 وَأَصْبَحَ مَالِي مِنْ طَرِيفٍ وَتَالِدٍ  
 فَيَا لَيْتَ شِعْرِي، هَلْ تَغَيَّرَتِ الرَّحَى  
 إِذَا الْقَوْمُ حَلَّوْهَا جَمِيعًا، وَأَنْزَلُوا  
 وَعَيْنَ وَقَدْ كَانَ الظَّلَامُ يُجَنُّهَا،  
 وَهَلْ تَرَكَ الْعَيْسُ الْمَرَاقِيلُ بِالضُّحَى  
 إِذَا عَصَبُ<sup>(٢)</sup> الرُّكْبَانِ بَيْنَ عُنَيْزَةٍ  
 وَيَالَيْتَ شِعْرِي هَلْ بَكَتْ أُمُّ مَالِكِ،  
 إِذَا مِتُّ فَاعْتَادِي الْقُبُورَ، وَسَلَمِي  
 تَرَيَّ جَدْنَا قَدْ جَرَّتِ الرِّيحُ فَوْقَهُ  
 رَهِينَةَ أَحْجَارٍ وَتُرْبَ تَضَمَّنَتْ  
 فَيَا رَاكِبًا إِمَّا عَرَضَتْ فَبَلَّغْنِ

(١) يسفن: يشمن.

(٢) عصب: اجتمع.

(٣) المنقيات: النياق السمينة.

(٤) المهاري: الواحدة مهريّة: إبلٌ منسوبة إلى مهرة بن حيدان من عرب اليمن.

(٥) الرّيم: القبر.

(٦) القسطلاني: حمرة الشفق.

(٧) هابيا: منتشرًا في الجو.

وَبَلَغَ أَحِي عَمْرَانَ بُرْدِي وَمِثْرِي ؛  
 وَسَلَّمَ عَلَيَّ شَيْخِي مِنِّي كِلَيْهِمَا ،  
 وَعَطَّلَ قَلُوصِي فِي الرِّكَابِ ، فَإِنَّهَا  
 أَقْلَبُ طَرْفِي فَوْقَ رَحْلِي ، فَلَا أَرَى  
 وَبِالرَّمْلِ مِنِّي نِسْوَةً لَوْ شَهِدْتَنِي ،  
 فَمِنْهُمْ أُمِّي ، وَابْتَتَاهَا ، وَخَالَتِي ،  
 وَمَا كَانَ عَهْدُ الرَّمْلِ مِنِّي وَأَهْلِهِ

وَبَلَغَ عَجُوزِي الْيَوْمَ أَنْ لَا تَدَانِيَا  
 وَبَلَغَ كَثِيرًا وَأَبْنَ عَمِّي وَخَالِيَا  
 سَبَّرْدُ أَكْبَادًا وَتُبْكِي بَوَاكِيَا  
 بِهِ مِنْ عِيُونِ الْمُؤَنَسَاتِ مَرَاعِيَا  
 بَكِينَ وَفَدَّيْنَ الطَّبِيبِ الْمُدَاوِيَا  
 وَبَاكِيَةً أُخْرَى تُهَيِّجُ الْبَوَاكِيَا  
 ذَمِيمًا ، وَلَا بِالرَّمْلِ وَدَعْتُ قَالِيَا

\* \* \*

من أخبار المسافرين (٢٤) المصطفى يسافر إلى تبوك

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [التوبة: ٤٢].

لا شك أيها المسافر المسلم أن أجمل الأخبار لديك ما كان من أحب الناس إليك، وأمتع القصص إلى قلبك ما سمعته من الذي هداك إلى ربك، فأبشر بما يسرك. فسافر بفؤادك، وتمع قلبك بشيء من أخبار المسافر الأعظم ﷺ الذي كان يرى أن الحياة بمجموعها ما هي إلا محطة من محطات السفر إلى ربّ البشر «ما أنا في الدنيا إلا كراكبٍ قال - من القيلولة - تحت ظل شجرة ثم تركها» [الصحيح: ٤٣٨] سأحدثك عن أظهر قدم مشت على وجه البسيطة، وأظهر مهجة درجت على ظهر الأرض، بأبي هو وأمي ﷺ.

حبيبك ﷺ سافر قبل البعثة عدة سفرات في تجارة خديجة رضي الله عنها ومع عمه أبي طالب أيضاً.

أما بعد البعثة فكانت سفراته على أربعة أضرب كما ذكر ابن القيم - رحمه الله - : النوع الأول: السفر للهجرة من مكة إلى المدينة.

النوع الثاني: السفر للجهاد في سبيل الله.

النوع الثالث: السفر للحج وهي حجة الوداع فقط.

النوع الرابع: السفر للعمرة.

وقد اخترت لك في هذه الوقفة أحد أسفاره للجهاد في سبيل الله وهو

سفره لغزوة تبوك فإلى هناك :

كانت غزوة تبوك في رجب سنة تسع، وكان رسول الله ﷺ قَلَمًا يخرج في غزوة إلا كَتَى عنها، وورَىٰ بغيرها، إلا ما كان في غزوة تبوك لبعث المشقة وشدة الزمان، غزاها رسول الله ﷺ في حرٍّ شديد حين طابت الثمار والظلال واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً، وعدواً كثيراً فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم فأخبرهم بوجهته التي يريد، وكانت الغاية من هذه الغزوة إرهاب الدولة المجاورة التي كانت تُخَافُ معرفتها على مركز الإسلام والمسلمين، وعلى الدعوة الإسلامية الزاحفة وقوتها الناشئة، وكذلك إدخال الرعب في قلوب القبائل العربية التي لم تدخل في الإسلام في جزيرة العرب.

وكره المنافقون الخروج مع رسول الله ﷺ إشفاقاً من العدو القوي الظاهر، وفراراً من الحر الشديد وزهادة في الجهاد، وشكاً في الحق، وفي ذلك قال الله تعالى: ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ [التوبة: ٨١].

وجد رسول الله ﷺ في سفره وأمر الناس بالجهاز، وحض أهل الغنى على النفقة في سبيل الله، فحمل رجال من أهل الغنى واحتسبوا، وجهاز عثمان جيش العسرة وأنفق ألف دينار ودعا له رسول الله ﷺ، واستحمل رجال رسول الله ﷺ وكانوا أهل حاجة فاعتذر لهم لعدم وجود الظهر فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً أن لا يجدوا ما ينفقون، فرجع الله عنهم الحرج بقوله :

﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا  
وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَرْحَرًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ [التوبة: ٩٢]

وخرج رسول الله ﷺ صباح يوم الخميس - وكان يحب السفر يوم  
الخميس -، في ثلاثين ألفاً من الناس، واستعمل على المدينة محمد بن  
مسلمة الأنصاري، وخلف على أهله علي بن أبي طالب، فلما سار رسول  
الله ﷺ تخلف عبدالله بن أبي ومن كان معه، وتخلف نفر من المسلمين من  
غير شك ولا ارتياب منهم، وهم: كعب بن مالك، وهلال بن أمية،  
ومرارة بن الربيع وأبوخيثمة وأبوذر ثم لحقه أبوخيثمة وأبوذر.

ونزل ﷺ بـ«الحجر» ديار ثمود وأخبرهم بأنها ديار المعذبين وقال: «لا  
تدخلوا بيوت الذين ظلموا أنفسهم إلا وأنتم باكون خوفاً أن يصيبكم ما  
أصابهم». وقال: «لا تشربوا من مائها شيئاً ولا تتوضؤوا منه للصلاة وما  
كان من عجيب عجنتموه فاعلفوه الإبل ولا تأكلوا منه شيئاً» [انظر: صحيح  
مسلم: ٢٩٨١].

وأصبح الناس ولا ماء معهم فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فدعا لهم،  
فأرسل الله سحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس واحتملوا حاجتهم من  
الماء.

ثم مضى رسول الله ﷺ وتلوّم على أبي ذر بعيه فلما أبطأ عليه أخذ  
متاعه على ظهره ثم خرج يتبع أثر رسول الله ﷺ ماشياً حتى أدرك رسول  
الله ﷺ. ولما انتهى رسول الله ﷺ إلى تبوك أتاه صاحب «أيلة» فصالحه  
وأعطاه الجزية وأتاه أهل جربا وأذرح فأعطوه الجزية وكتب لهم كتاباً.  
ثم أرسل رسول الله ﷺ خالد بن الوليد في خمسمائة فارس إلى أكيدر

دومة، فأسره خالد، وقدم به على رسول الله ﷺ فحقن دمه وصالحه على الجزية ثم خلّى سبيله.  
وأقام رسول الله ﷺ بـ«تبوك» بضع عشرة ليلة ثم انصرف قافلاً إلى المدينة.

ومات عبدالله ذو البجادين في «تبوك» فشيّعه رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر في ظلام الليل وفي يد بعضهم مشعل يسيرون في ضوئه وقد حفروا له ونزل رسول الله ﷺ في حفرتة وأبو بكر وعمر يدلّيانه إليه وهو يقول: «أدنيا إليّ أخاكما» فدلياه إليه فلما هياه لشقه قال: «اللهم إني أمسيت راضياً عنه فارض عنه». قال ابن مسعود: يا ليتني كنت صاحب الحفرة.

وكان من بين من تخلف عن هذه الغزوة كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية، ولم يكن التخلف من خلقهم وعاداتهم وإنما هو التسويف وضعف الإرادة، وقد صدقوا رسول الله ﷺ حين كذب الناس، وشهدوا على أنفسهم حين برأها المنافقون، فنهى رسول الله ﷺ الناس عن كلامهم فتنكرت لهم الدنيا وأعرض عنهم كل قريب وبعيد، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل تعدى إلى أزواج هؤلاء الثلاثة فأمرُوا أن يعتزلوهن ففعلوا، وأراد ملك غسان خطب ودّ كعب بن مالك، فجاءه رسول ملك غسان، فدفع إليه كتاباً فيه: إنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسك. فتثير الرسالة في كعب الغيرة وتهيج الحنان فقصده بالرسالة التنوير ورمى بها، ثم أنزل الله توبته عليهم وخلد ذكرهم في القرآن بعد أن ذكر توبته على سيد الأنبياء ﷺ والمهاجرين والأنصار، الذين لم يتخلفوا وذلك تكريماً لهم وجبراً

لخاطرهم ورفعاً لمكانتهم فقال: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ  
 وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ  
 مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الْقَلَيْتِ الَّذِينَ خَلَقُوا  
 حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ  
 مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾

[التوبة: ١١٧-١١٨]

## نظرة على الغزوات

يطيب لي أن أعقب على حديثنا عن غزوة تبوك بكلام جميل للشيخ أبي الحسن الندوي بعنوان نظرة على الغزوات في كتابه «السيرة النبوية»: وبغزوة تبوك التي كانت في رجب سنة تسع للهجرة انتهت الغزوات النبوية، التي بلغ عددها سبعاً وعشرين غزوة، والبعوث والسرايا التي بلغ عددها ستين، ولم يكن في كلها قتال.

وقد أريق في جميع هذه الغزوات والسرايا التي بعثها النبي ﷺ أقل دم عرف في تاريخ الحروب والغزوات، فلم تتجاوز قتلها كلها ١٠١٨ قتيلاً من الفريقين. وكانت حاقتة لدماء لا يعلم عددها إلا الله، عاصمة لنفوس وأعراض لا يحصيها إحصاء، باسطة الأمن في أرجاء الجزيرة حتى استطاعت الظعينة أن ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة، لا تخاف أحداً إلا الله، والمرأة من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف بعدما كانت الجزيرة كلها كفة حابل، وشبكة دقيقة من ترات وثارات، وحروب وغارات، لا تمشي فيها قوافل الحكومات الكبيرة إلا بخفارة ساهرة، وذرقه ماهرة.

وكانت هذه الحروب مؤسسة على الأصلين القرآنيين الحكيمين: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ و﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾، موفرة على النوع الإنساني والمجتمع البشري قدراً كبيراً من الوقت والجهد في تغيير الأحوال ودرء الأخطار، وكانت خاضعة لآداب خلقية وتعليمات رحيمة، جعلتها أشبه بعملية التأديب، منها بعملية التعذيب.

أما بالنسبة إلى نجاح العملية وسرعتها فقد استمر التوسيع بنسبة ٢٧٤ ميلاً مربعاً في ظرف عشر سنوات ولم يخسر المسلمون فيها إلا بنسبة شخص واحد في الشهر، وكان أقصى خسائر العدو في النفوس ١٥٠ شخصاً فلما اكتملت السنوات العشر خضع أكثر من مليون ميل مربع للحكم الإسلامي.

وكان رسول الله ﷺ إذا ودَّع جيشاً، قال: «أوصيكم بتقوى الله، وبمن معكم من المسلمين خيراً، اغزوا باسم الله، في سبيل الله، من كفر بالله، ولا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تقتلوا وليداً ولا امرأة، ولا كبيراً فانياً، ولا منعزلاً بصومعة، ولا تقربوا نخلاً، ولا تقطعوا شجراً، ولا تهدموا بناءً».

قارن ذلك بقتلى الحربين العالميتين: الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨ م، والثانية ١٩٣٩ - ١٩٤٥ م، فقد ذكر الكاتب المحقق في دائرة المعارف البريطانية في هذا الموضوع أن عدد المقتولين في الحرب العالمية الأولى بلغ ستة ملايين وأربعمائة ألف نفس (٦,٤٠٠,٠٠٠) وعدد المقتولين في الحرب العالمية الثانية بين خمسة وثلاثين مليوناً وستين مليون نفس (بين ٣٥,٠٠٠,٠٠٠ و٦٠,٠٠٠,٠٠٠).

ولم تخدم هاتان الحربان - كما يعلم الجميع - مصلحة إنسانية، ولم يستفد منهما العالم البشري في قليل أو كثير.

وقد بلغ عدد ضحايا محاكم التفتيش في أوروبا في القرون الوسطى، والاضطهاد الكنسي اثني عشر مليوناً (١٢,٠٠٠,٠٠٠) نفس.